جامعة محمد لمين دباغين/ سطيف2

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

شعبة علوم اجتماعية. **قسم الفلسفة** **الفئة: س1 ليسانس فلسفة.**

المقياس: مدخل إلى الفلسفة العامة **الأستاذ: ك . كربوش**

المحاضرة الثانية: خصائص التفكير الفلسفي

مدخل: لكل نمط من أنماط التفكير سماته ومميزاته، لا تنفك تنفصل عن حقوله المجالية، وذاك ما ينعقد مع مقررات بحثية تنطبق مع كل ميدان من ميادين البحث المعرفية. وقد تفردت الفلسفة بآلياتها وطرائقها وخصوصية مشكلاتها، إذ لا نعثر على مثيل لها في مجالات بحثية عديدة في أصناف العلوم والفنون المختلفة. ولا ريب إذ ذاك أن يكون للعقل فيها نصيب وافر من التحليل والبيان والتفسير والفهم والتأويل. سجالاتها جدالية نقدية، تبارح المألوف ليستحال فيها الشذوذ مقصدا. إنها تبحث عن علياء الفكر واتساقات المنطق المحكمة.

خصائص التفكير الفلسفي: (الشمولية، العمق، الاتساق)

01/ الشمولية: أما الشمولية فلا يراد بها الكلية والمطلقية أو تمام الإحاطة بموضوعات المعرفة، ذلك لأن من سمات البحث الفلسفي النسبية، غير ما تدعيه العلوم، لأن فيها المحدودية والجزئية، خلاف حقول البحث المجالية في الفلسفة التي تتميز بالعمومية والشمولية، إذ تتخطى حدود الجزئيات العلمية لأن مباحثها أوسع وأعم. بمعنى أن لموضوعات الفلسفة تشعبات وقراءات وخطابات عديدة ومتنوعة وآية ذلك كثرة مذاهبها وتعدد مدارسها، واختلاف منطقها وتباين أنساقها ومناهجها.

سمات قضاياها الجدالات والسجالات والحوارات الدائمة، ومشكلاتها التي عرض لها الفلاسفة في حقب الفلسفة وأزمنتها وعصورها التاريخية المتعاقبة معضلات ممتدة بروافدها وتشعب متونها ومقتضياتها المعرفية الواسعة. والشمولية للمدلول مثل ما للدلالة، أعني أن من مفهوم الفلسفة نستبطن معنى الشمولية. وقد أورد عبد الرحمان مرحبا تعريفا لها قاصدا به التنويه بسعة وشمولية الدلالة قائلا: " فالفلسفة إذن بعناها الواسع... البحث في ماهية الأشياء وأصولها، وعلاقة بعضها ببعض وبالإنسان. إنها تطلع إلى الآفاق البعيدة. إنها تعرّف على مظاهر الكون على اختلاف أنواعها، وتلمّس لأسبابها

وعللها، ومحاولة للتأليف بينها، وردّها إلى أصل واحد ينتظم الكون بأسره، إنها تطلب لعنصر الوحدة الكامن وراء الكثرة، وتعقب للانسجام المختبئ وراء غشاء كثيف من التنوع والاختلاف. وبعبارة أخرى تدل الفلسفة في أوسع معانيها على مجمل المحاولات التي قام ـــ ولا يزال يقوم ـــ بها الانسان، بدافع من المعرفة وحب الاستطلاع، ليتمثل مجموع الأشياء ومكانه من هذا المجموع، والرسالة التي عساه يضطلع بها في هذا المجموع"[1]. حقا ولا ريب بعدئذ أن تمثل رسالة كل إنسان في الحياة هي رهن تمكنه الفني وإحكاماته العقلانية الرصينة تجاه ما يستوجب بصيرة وولوج بعمق في أغوار المشكلات التي تزاحمه في زخم الحياة المثقلة بالغموض والتعقيد. إن التعقل الحق يستوجب منا مجاوزة ألفة التعقد الساذج اسير عاداته وعرفه المنغلق. والفلسفة بمعناها الشمولي تنفتح على رافدين حيويين: رافد النظر والتعقل وهو مقصور على الفلاسفة والباحثين في شؤون الفلسفة. ورافد عالق بالمراس الحياتي المعيش للعوام تماما كما للخاصة، وهو ما يصطلح عليه بالتفلسف. ولا شك أن كلنا متفلسفون، إذ تغمرنا الدهشة والحيرة والإحراج في أحايين كثيرة، فنثير التساؤلات ونحاور غيرنا عبر رافد الأسئلة العميقة، النافذة إلى عمق معضلات الحياة، نحو أسئلة الحياة والموت، والعدالة والمساواة، والحرية والكرامة. وتلك قلة من كثرة لا يسعنا إحصاؤها لكثرتها وسعة مجالاتها. وإلى ذلك فالفلسفة بمعناها الأوسع ليست بمنآى عن حياتنا اليومية، إنها موصولة فينا ومن خلالنا متفاعلة وإيانا، لا تنفك تنقطع عن التأثير فينا، إنها نظرة شمولية في الكون، ونزوع فكراني عام نحو كليات وجزئيات الحياة[2].

02/ العمق: إن طبيعة الخطاب الفلسفي منذ بواكير نشأته ظلت ولاتزال تنهج نهج التفكيك والتحليل والتقصي العميق لكل التفاصيل الدقيقة الموصولة بمسائل ومشكلات الفلسفة في تعدد حقولها ومباحثها لا تعبأ بالظاهر أو بالأحكام الاستباقية الذاتوية، ولكن تركن على الدوام إلى خلخلة التراكمات المعرفية مثلما تولج في عمق متون التساؤلات الفلسفية لاستبطان مبادئها وأصولها ودوافعها البعيدة منها والقريبة مخالفة بذلك نهج العلم الذي يعبأ بالأطر المحدودة للمعرفة العلمية. لأجل ذلك ندلل على عمق الدراسات الفلسفية ونحن نستأنس بإرثها المعرفي في صنائع فلاسفتها، نحو ما عناه 'هيدغر' وهو يجلي عمق الطرح الأنطولوجي والميثافيزيقي خاصة قائلا: " تعد الفلسفة في حقيقتها ميثافيزيقا، فهي تفكير في الموجود في كليته ـــ في العالم ـــ وفي الإنسان، وفي الله، وذلك بوساطة النظر إلى الوجود في حيثية انتماء الموجود

[1] ـ عبد الرحمان مرحبا : المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1988، ص ص 09- 10.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 13.

إلى الوجود. وقد فكرت الميثافيزيقا في الموجود بوصفه الموجود في طريقة التصور المعلل"[3]، بمعنى التصور الذي يبيّن العلة. ويعرض راسل لمشاكل الفلسفة عبر ثنائية جدل الظاهر والباطن، مشيرا إلى أن واقعنا معبأ بالمتناقضات التي تجرها إلينا عاداتنا وانطباعاتنا الساذجة، إذ لا يحذونا المقام إلى التعمق في بيان علتها ودونيتها خلاف ما يأمله العقل الفعال (التعمق والتعليل والمحاجة المنطقية). " فنحن في حياتنا اليومية نفرض كثيرا من الأشياء أنها حقة؟ ولكنا نجدها لدى التمحيص الدقيق ملآى بالمتناقضات الظاهرة، حتى ليعز علينا أن نهتدي لمعرفة ما يمكننا أن نعتقده حقيقة، إلا بعد قدر كبير من التفكير. ومن الطبيعي أن نبدأ في سعينا وراء اليقين بتجاربنا الحاضرة، وهي على وجه ما لا شك مصدر نستخلص منه المعرفة"[4].

الاتساق: لا شيء يحقق الاتساق في خطابات الفلسفة المتعددة غير التزام العقل الباحث بالأطر والأنساق المنطقية، وقد ظل المنطق عصب الفلسفة، ومنه تستخلص مناهجها وتصنع مفاهيمها ومقولاتها الوظيفية. وقد تجلت الحوارات الفلسفية منذ عصور اليونان أنجع الطرائق التي أبانت عن سمات الاتساق والوضوح والمعقولية. كان ذلك راسخا في أعمال أرسطو طاليس وفي مباحثه المنطقية، التي نزع من خلالها إلى مناهضة ودحض حبائل السفسطائيين ومغالطاتهم الخطابية، وقد كانت ماهية الاتساق موصولة بمناهج البحث الفلسفي نحو المنهج التأملي وطرائق الجدل والنقد والتحليلات العميقة لمقررات المذاهب والأنساق المعرفية المختلفة. والمواضي الفلسفية لا شك مستغرقة في التشبث بالاتساق الذي يستلهم العقل منه الوضوح والبداهة، ولكن كلما اقتربنا من الحاضر تجلى لناظرينا كم يلزمنا من جهد لتوقيع تحويرات وتغييرات جدرية في حقول الأبحاث المنطقية، التي من خلالها تتكثر الأنساق وتنمو الفلسفة نموا يليق بزمانها. والحدث الأبرز في العقود الأخيرة بالنسبة للمنطق هو ارتقاؤه إلى مصاف العلوم الوضعية، حيث يكون للفلسفة الوضعية شأن أيضا... وهو الآن في شكله المستجد منطق رياضي أو رمزي يحظى باعتراف رسمي بوصفه أحد الفروع العلمية الكبرى. فله الكراسي الجامعية ومخصصات الأبحاث، ويحتل مكانة داخل عدة علوم متشابكة، وتنتظم لأجله هيئات الدراسات وتنعقد المؤتمرات وتصدر المجلات التخصصة[5].

---

[3] ـ مارتن هايدغر: في الشيء الذي يخص التفكير، تر، وعد الرحية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2018، ص 81.

[4] ـ برتراند راسل: مشاكل الفلسفة، تر، عبد العزيز البام، مطبعة الشعب، 1947، ص 01.

[5] ـ روبير بلانشي: المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل، تر، خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 477.

خاتمة: أبدا لا يحصل اكتمال في روح الفلسفة، طالما أن السجال والحوار والجدال وقودها، ثم إن سمات الفلسفة ومراسات التفلسف راسخة في الفكر والسلوك على الدوام. لكن ما يتوجب على الفيلسوف الالتزام به سلفا هو تحكيم العقل سلطانا على المعارف ناهلا من حقول المنطق ما يسعه أن ينهل لبعث الأفكار الوضاءة انوارا للبشرية تهتدي بها أحايين كثيرة.